مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الثامن والثلاثون رجب-رمضان ١٤٣٣هـ يونيو - سبتمبر ٢٠١٢ م

٣٨

- الخاتم النبوي الشريف معلم من معالم الدولة النبوية - القسم الثاني
- أسماء المدينة النبوية المباركة في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة
- الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب وجهوده في الدولة السعودية الأولى
- يثرب بين الحديث النبوي والشعر

يثرب بين الحديث والشعر

أ.د. عبدالرزاق حسين
أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن
قسم الدراسات الإسلامية والعربية

هذه القرية التي تأكل القرى ستظلُّ حديثاً يتناقله الرُّكبان إلى يوم القيامة ؛ لأنَّها تحوَّلت من واحةٍ خصبةٍ ، وافرة المياه ، تكثر فيها الوديان والآبار ، ومن ممرٍّ للتجارة ما بين الحجاز ، واليمن ، والشام ، إلى مركز الهدى ، ومنبع الإيمان .

إنها مهاجر رسول الله ﷺ ، التي أُمرَ بالهجرة إليها لمّا سدَّتْ قريش أمامه عليه الصلاة السلام أبواب الدعوة، فقال ﷺ : « أُمِرْتُ بقريةٍ تأكلُ القُرى يقولون لها يثرب »[1] .

وفي معنى تأكل القرى، أورد المحققون ثلاث معانٍ، هي[2] :

- أنها مركز انطلاق جيوش الفتح إلى آفاق الدنيا .
- أنَّ رزقها يأتيها رغداً من القرى المفتوحة .
- أنها ابتداء الإسلام، ومنها ينتشر، فتخضع لها كل القرى .

وحتى هجرة رسول الله ﷺ ، كان اسمها يثرب، وظلَّ هذا الاسم يتردّدُ على الألسنة ، حتّى سمّاها رسول الله ﷺ « المدينة » وورد بعد ذلك حديث في النهي عن تسميتها باسمها القديم يثرب ، فقال عليه الصلاة والسلام : « من سمّى المدينة يثرب فليستغفر الله »[3] .

---

(١) صحيح البخاري٢/٢٠ باب فضل المدينة، وصحيح مسلم ١٠٠٦/٢ باب المدينة تنفي شرارها.

(٢) انظر إثارة الترغيب ٣١

(٣) مسند أحمد ٢٨٥/٤ رقم ١٨٧١ ، ووردفي مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٢٦٧/٩ باب سكنى المدينة : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: « مَنْ قَالَ لِلْمَدِينَةِ : يَثْرِبُ، فَلْيَقُلْ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ثَلاثًا هِيَ طِيبَةٌ هِيَ طِيبَةٌ هِيَ طِيبَةٌ » .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وباسمها القديم يثرب نطق القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ﴾ [الأحزاب: ١٣] .

وذِكْرُها في القرآن الكريم بهذا الاسم هو حكاية لقول الطائفة المنافقة ، كما ورد عند كثير من المفسرين . فما حكاية هذا الاسم الذي ظلَّ علماً على هذه المدينة التي سمِّيتْ به من قديم الزمان ؟

يذكر جواد أنها وردت بهذا الاسم في الكتابات المعينية[١] .

ويذكر الدكتور أحمد إبراهيم الشريف[٢] أنَّ بطليموس ذكرها في جغرافيته بهذا الاسم ، وينقل عن صاحب « الرحلة الحجازية » رأياً يقول بأنَّ موسى عليه السلام أرسل فرقة من جيشه لقتال العماليق ، فسموها يثرب تحريفاً لاسم مدينة مصرية اسمها (أوسربيس) ، ولا شكَّ أنَّ مثل هذا الرأي يحتاج لأدلة قاطعة ، ولذلك يبقى في دائرة الشك، فالقرآن الكريم يذكر توجه سيدنا موسى عليه السلام لأرض فلسطين وليس للحجاز .

ويرد في سبب تسميتها بهذا الاسم مجموعة من التعليلات ، ولعلّ أهمها يرجع إلى أول من بناها أو سكنها ، أو لمعنىً لغوي .

ولقد أورد اللغويون والمؤرخون عدداً من التعليلات لهذا الاسم ، فأبو القاسم الزجاجي[٣] يرى أنها سُمِّيَتْ بهذا الاسم نسبةً لأوَّل من سكنها وهو: يثرب بن قانية بن مهابيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وبعضهم علَّل ذلك بالتثريب أي الإفساد، أو الطيّ ، يُقال ثَرَبَ بئرَهُ : إذا طواها، وبمعنى إتقان البناء، سُمِّيَتْ بذلك تفاؤلاً لحصانتها ، أو من التَّرب الذي هو زيادة

(١) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٩٥/٣ .

(٢) ا انظر مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ٢٤١ -٢٤٢ .

(٣) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي من أفاضل علماء النحو، من مشهور كتبه : الجُمل وكتاب الإيضاح، وكتاب شرح خطبة أدب الكاتب لابن قتيبة، توفي سنة٣٣٧هـ انظر ترجمته في نزهة الألباء ٢٢٧ .

الشحم، أو من ثَرَبَهُ يَثْرِبُهُ : إذا نزع عنه ثوبه، أو مِنَ الثَّرْبِ بمعنى القلة[١] .
ويرى أبو عبيدة أن المدينة ناحية من يثرب، يقول[٢] : « يثرب اسم أرض ، ومدينة الرسول ﷺ في ناحية منها » وفي ذلك يقول ابن زبالة : « كانت يثرب أم قرى المدينة، وهي ما بين قناة إلى طرف الجرف، وما بين المال الذي يقال له البرني إلى زبالة »[٣] ويرى الدكتور أحمد إبراهيم الشريف عكس ذلك فيثرب ناحية من المدينة، يقول: « كان هناك حي من أحياء المدينة يُسمّى يثرب، يقع في الجنوب الغربي من أُحد بين سلع ووادي قناة ... ولعلَّ اسم يثرب أُخذ من اسم هذه المنطقة من المدينة »[٤] ويرى عاتق البلادي أنها المنطقة المسماة بالعيون، وهي نخيل ومزارع بسفح جبل أُحد الجنوبي الغربي[٥] ومن هذه الأقوال نخلص إلى أنَّ الاسم يثرب كان لجهة واحدة ثمَّ عُمِّم على كلِّ المدينة، أي من باب تسمية الكل باسم الجزء .

ويثرب لها أسماء عديدة، فقد سماها الله تبارك تعالى الدار بقوله عزَّ منْ قائل : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الحشر: ٩] .

وسماها النبي ﷺ طَيْبَة بفتح الطاء المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بعدها هاء، وطابة بإبدال الياء بعد الطاء بألف، قال النووي وهما من الطيب وهو الرائحة الحسنة، وقيل : من الطيِّب خلاف الرديء، وقيل : من الطيِّب بمعنى الطاهر، وقيل : من طيب العيش . وزاد السهيلي في أسمائها : الجابرة بالجيم والباء الموحدة، والمحبة، والمحبوبة، والقاصمة،

(١) انظر تاريخ المدينة لابن شبة ١٦٤/١، ومعجم البلدان ٤٣٠/٥، والمغانم المطابة٢٦٢/١-٢٦٤ .
(٢) مثير الغرام الساكن ص ٢٥٥ وانظر الدرة الثمينة ص ٦٧ .
(٣) أخبار المدينة ١٨٤ .
(٤) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ص ٢٤٣ .
(٥) معجم قبائل الحجاز ٥٧٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمجبورة، والعذراء، والمرحومة، و كانت تدعى في الجاهلية « غلبة » لأن اليهود غلبوا عليها العماليق، والأوس والخزرج غلبوا عليها اليهود .

وجاء في أدب الخواص[١]: إن جزيرة العرب المدينة، واسمها طيبة، وقد تسمى بأسماء غير ذلك منها طيبة، وطابة، ويثرب، والعذراء، وجابرة، ويندد، والدار .

ومع كلِّ هذه الأسماء التي تصل إلى ستين اسماً، ومع ما ورد من نهي الرسول ﷺ عن ذكرها بهذا الاسم، إلاَّ أنَّ هذا الاسم « يثرب » ظلَّ أكثر الأسماء استعمالاً في الشعر وحتى النثر .

وقد شغلني هذا الأمر، فكيف ينهى رسول الله ﷺ عن شيء، ولم ينته القدماءُ والمحدثون عن ذكره، ولعلَّ لقائلٍ أن يقول : الشعراء يتبعهم الغاوون، فمن ذكرها من الشعراء ومن تبعهم هم من هذه الفئة . فنقول : والذين آمنوا ؟ ما القول في ذكرهم لها ؟ وما تفسير ورود هذا الاسم عند كثير من الشعراء قديماً وحديثاً ؟ ونحسبهم - والله حسيبهم - من المستثنى في الآية الكريمة، والعجب يزداد عندما نجد هذا الاسم يتكرر عند الرسول ﷺ ، وعند الصحابة، والفقهاء، والمفسرين، وعلماء اللغة، والأدباء، والكتاب على مرِّ العصور .

إنَّ تردُّدَ هذا الاسم « يثرب » شغلني ؛ إذْ كيفَ نُنْهَى فلا ننتهي ؟ وكيف نُؤْمَرُ فلا نطيع ؟ وكيف نُدعى فلا نستجيب ؟ وبدأتُ رحلة بحث في تتبع ورود هذا الاسم في الشعر العربي، وحتى في النثر، ثم قمت باستقصاء هذا الاسم في الحديث النبوي الشريف، كي أصل إلى سبب الإصرار على الاستمرار في ورود « يثرب » شعراً ونثراً، وهل كان هؤلاء الذين يُصِرُّون على التلفظ به عصاةً، أم أنَّ لهم سبباً يدعوهم لاستخدامه،

(١) ١٦/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سواء لضرورة شعرية، أم لخفّة لفظٍ، أم لتجانسٍ لفظي، أم لقافيةٍ اضطرارية، أم أنَّ النهي لم يكن جازماً، وأنهم وجدوا ما يبيح لهم ذلك ؟

وأبدأ بتتبع هذا الاسم في الشعر العربي قديمه وحديثه :

يثرب : هو من أكثر أسماء المدينة وروداً في الشعر العربي ، قديمه وحديثه، لم يتوقف الشعراء عن استخدامه في أشعارهم إلى يومنا هذا .

وعلى كلٍّ فإنَّ هذا الاسم هو الذي شُهرت به المدينة المنورة قبل حلول رسول الله ﷺ فيها وتغيير اسمها، ولقد كان هذا الاسم مستعملاً في الشعر الجاهلي، من ذلك قول سابق الشعراء امرئ القيس الذي يذكر يثرب في معلقته فيقول[١] :

علونَ بأنطاكيةٍ فوقَ عقمةٍ كجرمةِ نخل أو كجنَّةِ يثربِ

ومن شعر عبيد بن الأبرص في ذكر يثرب، قوله[٢]:

في كلِّ وادٍ بين يَثربَ فالقصور إلى اليمامة

وأوس بن حجر يذكر شهرة يثرب في صنع التروس، فيقول[٣]:

وذو بقرٍ منْ صنع يثربَ مقفلٌ وأسمرُ داناهُ الهلاليُّ يعترُ

وهذا أحد شعرائها وهو شاعر من الخزرج ثم أحد بني زريق يفتخر بقومه فيقول[٤]:

ملوكاً على الناس لم يملكوا من الدَّهر يوماً كحلِّ القسمْ

فأنبوا بعادٍ و أشياعِها ثمودَ و بعض بقايا إرَمْ

بيثربَ قد شيَّدوا في النخيل حصوناً ودجِّن فيها النعمْ

---

(١) ديوان امرئ القيس ١١/١ .

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص ٣٧ والأغاني ١٠٠/٩ .

(٣) ديوان أوس بن حجر ٢٧/١ .

(٤) الروض الأُنُف ٣٢٤/٢ وأخبار أبي القاسم الزجاجي ٦٥/١ وديوان حسان بن ثابت ٤٥/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وذكرها في الشعر الجاهلي لا غبار عليه، فهذا اسمها الذي يعرفها به الناس، ولكنَّ استمرار إيراد هذا الاسم على الرغم من تغيير الرسول ﷺ له بالاسم الجديد فسماها « المدينة » ، وورود حديث ينهى عن تسميتها بيثرب جعلني أتساءل عن سبب ذلك ؟ هل هو من الضرورة الشعرية التي تضطر الشاعر إلى مضايق الكلام ؟ أم أنَّ شهرة الاسم فرضت نفسها ؟ أم أنَّ خفة الاسم هي التي تجعله يتردَّد على الألسنة ؟ أم أنَّ ضعف الوازع الديني هو السبب في عدم الانتهاء عمّا نهوا عنه ؟.

ولكنَّ كلَّ هذه الفرضيات والتخمينات تنزاح أمام الإصرار على ذكر المدينة باسمها القديم يثرب، ففي حياة الرسول ﷺ، وإثر مماته، وبعد ذلك كان بعض الصحابة يسمون المدينة بهذا الاسم، ولعل أول ذكر لها خلال الهجرة هو ما ذكر من رد حسان بن ثابت على الشعر غير المنسوب فقد ورد في أخبار أبي القاسم الزجاجي من الشعر غير المنسوب الذي قيل بعد ورود رسول الله ﷺ خيمة أم معبد ،وقد ردَّ عليه حسان بن ثابت وفيه ذكر يثرب فقال[١]:

ترحّلَ عن قوم فضلَّتّ عقولُهم وحلّ على قوم بنور مجدّدِ
هداهُم بهِ بعدَ الضَّلالةِ ربّهمْ وأرشدَهُمْ من يتبع الحقّ يرشدِ
وقد نزلتْ منهم على أهل يثربٍ ركابُ هدىً حلَّتّ عليهمْ بأسعدِ

وقد ورد ذكرها في قصيدة المدح التي توجه بها الأعشى إلى رسول الله ﷺ وهو في المدينة التي مطلعها[٢] :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْناكَ لَيْلَةَ أَرْمَدا وعادَكَ ما عادَ السَّلِيمَ المُسَهَّدا

(١)ديوان الأعشى١/٤.
(٢)معجم الشعراء١/٤٠١.

إلى أن يقول :

أَلاَ أَيُّهـذا السَّـائِلِي أَيْـنَ يَمَّمَـتْ فـإنَّ لهـا فِي أَهْـلِ يَثْـربَ مَوْعِـدا

وقد ورد في معجم الشعراء بأنَّ الأعشى[1] « وفد إلى مكة يريد النبي ﷺ ومدحه بقصيدته التي أولها :

ألمْ تغـتمضْ عينـاكَ ليلـةَ أرْمَـدا وبِـتَّ كمـا بـاتَ السـليمُ مُسـهَّدا

يقول فيها :

أَجَـدِّكَ لم تسـمعْ وَصـاةَ محمَّـدٍ نـبيِّ الإلـهِ حـين أَوْصَـى وأَشْـهَدا

إذا أنـتَ لمْ تَرْحَـلْ بـزادٍ مـنَ التُّقـى ولاقيْـتَ بعـدَ الموتِ مَـنْ قـدْ تَـزَوَّدا

نَـدِمْتَ علـى ألا تكـونَ كمثلِـهِ وأَنَّكَ لم ترصدْ بما كانَ أَرْصَدا

فلقيه أبو سفيان بن حرب، فجمع له مائة من الإبل ورده، فلما صار بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله.» .

ولو صدق هذا القول ، فالاستشهاد مردود ، كون يثرب لا زالت يثرب ، ولم يُغيَّر اسمها بعد ، ولكن ما في القصيدة ينقض هذا القول ، إذ إنَّ الشاعر يحدِّث ناقته بأنَّ موعدها هو يثرب لا مكة ، ولذلك أقول استشكل الأمر على المرزباني صاحب معجم الشعراء ، إذ قد يكون الأعشى قد توجه للمدينة لإعلان إسلامه ، فسمعت قريش بذلك فخشيت من إسلام هذا الشاعر المشهور أن ينتشر بين العرب ، فتصدَّت له وهو في طريقه إلى المدينة ، ودليلنا هو أنَّ الأعشى مات بعدها مباشرة في السنة السابعة للهجرة ، ومع ذلك فالأعشى لم يُسلم ، ولا زال على دعوى الجاهلية ، وهو يمدح على طريقة الجاهليين الذين اعتادوا على تسميتها بيثرب .

(١) معجم الشعراء١/٤٠١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذا أبو سفيان يقول محرضاً وهو يتجهز خارجا من مكة إلى المدينة[١] :

كُـرّوا علـى يَثـرِبٍ وجمعِهـمُ فـإنّ مـا جمَّعـوا لكـم نَفَـلُ
إن يـك يـومُ القَلِيـب كـان لهـم فـإن مـا بعـده لكـم دوَلُ
آليـتُ لا أقـرَبُ النسـاءَ ولا يَمـسّ رأسـي وجلـدي الغُسُـل

وإنَّ أبا سفيان حين قال هذا القول أيضاً كان على كفره، ولا تلزمه التسمية الجديدة، فنقول : إنَّ الصحابي عبد الله بن رواحة ذكرها في معرض فخره، حيث يقول[٢] :

مَتَـى مـا تَـأْتِ يَثـرِبَ أو تَزُرْهـا تَجـدْنا نَحْـنُ أَكْرَمَهَـا وُجُـودَا

وهذه أبيات في رثاء الرسول ﷺ منسوبة إلى عمته صفية رضي الله عنها، فترد يثرب فيها حيث تقول[٣] :

أفـاطمُ صـلّى اللهُ ربُّ محمَّـد علـى جـدثٍ أمسـى بيثـربَ ثاويـا

فكيف تذكر عمة رسول الله ﷺ يثرب بعد وفاته، وما تعلمه من نهي ؟

وهذا شاعر الرسول ﷺ، يسميها بيثرب في رثائه، فيقول[٤] :

صَـلّى الإلـهُ وَمَـنْ يَحُـفُّ بِعَرْشِـهِ والطيبـونَ علـى المبـاركِ أحمـدِ
فرِحـتْ نصـارى يَثـربٍ ويهودُهـا لمّـا تَـوَارَى في الضَـريحِ المُلحَـدِ

وهذا أبو ذؤيب يبكي رسول الله ﷺ ويصف ما حلَّ بأجبال يثرب ونخيلها بعد وفاته، فيقول ذاكراً يثرب[٥] :

فتزعزعـتْ أجبـالُ يثـربَ كلُّهـا ونخيلُهـا لِحُلـولِ خطْـبٍ مُفْـدِحِ

(١) الأغاني ٣٧٤/٦ .
(٢) جمهرة أشعار العرب ٦٣/١ .
(٣) أنساب الأشراف ٢٥٦/١ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٧/١ .
(٤) ديوانه٤٨/١ .
(٥) ديوان أبي ذؤيب١٢٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي العصر الأموي يظهر هذا الاسم في الشعر، ففي رثاء الكميت للرسول ﷺ يذكرها قائلاً[١] :

وبورك قبرٌ أنتَ فيهِ وبوركتْ ... بهِ ولهُ أهلٌ بذلكَ يثربُ

لقد غيَّبوا براً وحزماً ونائلاً ... عشيَّةَ واراهُ الصَّفيحُ المنصَّبُ

وقد علَّق الجاحظ على هذا الشعر فقال : « يعني قبر النبي ﷺ ، ويثرب يعني المدينة، وهذا شعر يصلح في عامة الناس » .

وقد ذكره الجاحظ في باب العي، موجهاً النقد للكميت على هذا الشعر الذي لا يرتفع إلى مكانة المرثي وهو رسول الله ﷺ .

وجاء في الوافي بالوفيات[٢] : وهذا حميد بن ثورٍ الهلالي شاعر إسلامي أدرك النبي ﷺ بالسِّن ، وتوفي في حدود السبعين للهجرة، وقيل إنه أدرك الجاهلية ، وفد على خلفاء بني أميَّة، وعدَّه محمد بن سلاَّمٍ في الطَّبقة الرابعة من شعراء الإسلام. قال الأصمعيّ: الفصحاء من شعراء العرب في الإسلام أربعة: راعي الإبل النميريّ، وتميم بن مقبلٍ العجلانيّ، وابن أحمر الباهليّ، وحميد بن ثورٍ الهلاليّ، وكلهم من قيس عيلان ، وقال في قتلة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه :

إنَّ الخلافةَ لمَّا أظْعَنتْ ظعنُوا ... مِنْ أهلِ يثربَ إذ غير الهُدى سَلكوا

صارَتْ إلى أهلِها منهم وأورثها ... لمَّا رأى اللهُ في عثمانَ ما انتَهكوا

كما في هذا الشعر لخالد بن عقبة في رثاء سعيد بن عثمان بن عفان، ويذكر يثرب[٣] :

ألا إنّ خيرَ الناس نفساً ووالداً ... سعيدُ بن عثمان قتيلُ الأعاجِمِ

---

(١) البيان والتبيين ٣٣٢/١.

(٢) ٣٣١/٤.

(٣) ا لأغاني ٢٤٨/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بكتْ عينُ من لم يَبْكِه وَسْطَ يَثْربٍ مَدَى الدهر منه بالدموع السَّوَاجِم
فإن تكن الأيامُ أَرْدت صروفُها سعيداً فمَنْ هذا عليها بسالِم

وجاء في معجم الشعراء[١]: في ترجمة : « معاوية بن عبد الله بن جعفر بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب.: ولد سنة خمس وأربعين وعبد الله بن جعفر عند معاوية بن أبي سفيان بالشام، فسأله معاوية أن يسميه باسمه، ودفع إليه خمسمائة ألف درهم، وقال: اشتر لسميي ضيعة، وكان معاوية بن عبد الله صديقاً ليزيد بن معاوية، ومدحه بأبيات منها:

إذا مذقَ الأخوانُ بالغيبِ ودَّهُمْ فسيِّدُ إخوان الصَّفاءِ يزيدُ

وله يرثي أباه عبد الله:

عينُ بكِّي على ابن جعفر القر م أبي جعفر إمام الكرام
منْ إليه يثربُ جائلةُ العجز تَبْتَغي لديهِ دارَ مقام
فعليكَ السلامُ إنَّا فَقَدْنا بكَ شمسَ الضُّحى وبدرَ الظَّلام

ويفتخر يزيد بن معاوية بيثرب فيقول[٢] :

وأَنَا ابنُ زَمزَمَ والحَطِيم ومَولِدِي بَطحَاءُ مَكَّةَ والمَحلَّةُ يَثربُ

والسيد الحميري يقول في مدح الإمام علي بن أبي طالب ﷺ[٣] :

حتى إذا أَمِنَ العيونَ رَمَتْ بهِ خُوصُ الرِّكابِ إلى مدينةِ يثربِ

وهذا شاعر العصر الأموي جرير بن عطية الخطفى، وأمام الخليفة عبد الملك بن مروان يذكر يثرب، فيقول في هجاء الفرزدق[٤] :

(١) ٩٨/١. هكذا ورد الاسم في معجم الشعراء، والصحيح : معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فليس لعلي بن أبي طالب ولد اسمه جعفر .
(٢) دواوين الشعر العربي ١٦٢/٦٧ .
(٣) ديوان السيد الحميري ٣٢ .
(٤) ديوان جرير ٣٧/١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سَـتَهْدمُ حـائِطَيْ قَرْمـاءَ مِنّـي قـوافٍ لا أريـدُ بهـا عتابـا
دخلـنَ قصـورَ يثـربَ معلمـاتٍ و لمْ يتركـنَ مـنْ صـنعاءَ بابـا

والفرزدق هو الآخر يذكر يثرب وصنعة النصال فيقول[١] :

كَـأنّ نِصَـالَ يَثـربَ سَـاقَطَتْهَا علـى الأرْجَـاءِ مِـنْ ريـش الحَمَـام

والراعي النميري، كذلك يذكر يثرب، فيقول[٢]:

وَكَـأَنَّهُنَّ أَشَـاءُ يَثْـربَ حَوْلَهَـا جـرفٌ أضـرَّ بهـنَّ نهـيٌ بهّـلا

وفي العصر العباسي يرد هذا الاسم في شعر الكثير من شعرائه كالبحتري، الذي يقول متغزلاً[٣] :

ألَـمْ تَعْلمـي يـا عُلـوُ أَنِّـي مُعَـذَّبٌ بحُـبِّكُمُ والحَـيْنُ للمـرءِ يجلـبُ
وقدْ كنتُ أبكيكُمْ وأنتمْ بيثْربٍ وكانتْ مُنى نَفسي من الأرض يَثْربُ

والشريف الرضي يكثر من ذكرها بهذا الاسم، فيقول مشتاقاً إليها[٤]:

برعـاكمْ يـا أهـلَ يثـربَ حـاجي وعلـيكمُ دون الأنـام مَعـاجي
ومتـى ادَّلجـتُ إلى زيـارة أرضـكمْ حَـذرَ الوشـاة فحبَّـذا إدْلاجـي

ويستحلف الشريف المرتضى تلك الأيام بيثرب أن تعود لما لها من نضارة تشبه نضارة شبابه في ذلك الحين ، يقول[٥]:

بـاللهِ يـا أيـامَ يثـربَ عـودي عُـودي لبـلِّ حُشاشـة المعمـودِ
مـا كـان أنضـرَ بينهنّ محاسـني في أَعـين رُمُـق وأخضـرَ عـودي!
أيّـامَ لم يحـن النَّوائـبُ صَـعْدَتي بمـرورهنّ ولا لـوين عمـودي

(١) ديوان الفرزدق ١٢٥.
(٢) ديوان الراعي النميري ١٧٥.
(٣) ديوان البحتري ١١٣/٢.
(٤) ديوان الشريف المرتضى ٩٧٩/١ .
(٥) ديوان الشريف المرتضى ٩٣٧/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويقول أبو العلاء المعري في ذكر ما قيل في أنَّ الأسماء قد تخالف معناها اللغوي، وهو بذلك يدافع عن بلده المعرة، ويذكر ما قيل عن يثرب من التثريب أي الفساد، يقول[١]:

وهل لحِق التثريبُ سُكّانَ يثربٍ من الناس، لا بلْ في الرّجالِ غباءُ

ويقول حيدر الحلي[٢]:

ودَّعا مكَّة فيمن ودَّعا وإلى يثرب منها أزمعا

والشريف الرضي، وأخوه الشريف المرتضى، أكثرا من ذكرها بهذا الاسم، وكذلك مهيار الديلمي، والسيد الحميري وكثير غيرهم، وهذا الأمير الشاعر ابن المعتز العباسي يقول في مدح الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣]:

وَعْمَرو بْنَ عَبْدٍ وَأَصْحابَهُ سَقاهُمْ حَسا المَوْتِ فِي يَثْرِبِ

ومن ذلك ما قاله العباس بن الأحنف في محبوبته فوز، وكان الشعراء ينتظرون عودة محبوباتهم من أداءِ فريضة الحج، فيكرر يثرب مرتين في قوله[٤]:

أمسَتْ بيثربَ لا يأتي لها خبرٌ ولا إذا حجّ بعضُ الناس من بلدي
إني أُعيذُكُمُ أن تَطْلُبُوا بدمي يا أهلَ يثربَ أهلَ النّسكِ والرّشَدِ

ويذكرها الحسين بن مطير قائلاً[٥]:

أحنُّ ويثنيني الهوَى نحوَ يثربٍ ويزدادُ شوقي كلَّ ممسًى وشارقِ
كذاكَ الهوَى يُزري بمنْ كان عاشقا ونوْلُ الهوَى يحنو علَى كلِّ عاشقِ

---

(١) موسوعة دواوين الشعر العربي ٢٩٥/٢٩ .

(٢) ديوان حيدر الحلي٣٧١.

(٣) ديوان ابن المعتز ١١٣/١ وأشعار أولاد الخلفاء ٣٦/١.

(٤) شعر العباس ابن الأحنف.٤/١ .

(٥) الشعر والشعراء ٣٢/١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأنشد ثعلب، ويروي لمحارم[١] :

طَرَقَتْكَ زينبُ والرِكابُ مُناخةٌ بِجَنوبِ يَثْرِبَ والنّدى يتصبَّبُ

وهذه المدائح النبوية التي مُدِحَ بها المصطفى ﷺ من شعراء على مدى العصور، نجدهم يوردون اسم يثرب في أشعارهم المدحية، فهذا عبد الرحيم البرعي، يذكرها بهذا الاسم في مدائحه للرسول ﷺ، من ذلك قوله[٢] :

رحلوا المطيَّ يؤمهمْ منْ يثربٍ رعدٌ يحنُّ وبارقاتٌ تومضُ
وعمائمٌ تكسو الرياضَ مطارفاً يفترُّ عنها مذهبٌ ومفضفضُ
بلدٌ بهِ المجدُ المؤثلُ والسخا و البدرُ والبحر الطويلُ الأعرضُ
بحرٌ يموجُ غنى لمغترفيهِ لاَ وشلٌ بهِ يتربضُ المتربضُ

ومن ذلك أيضاً ما ورد في الشعر الأندلسي، ولنضرب مثالاً على ما قاله لسان الدين بن الخطيب الشاعر الأندلسي المشهور في مدح الأمير يوسف بن تاشفين، حيث يذكر يثرب قائلاً[٣]:

للهِ يوسفُ في الأملاكِ إنْ وردتْ عنه العفاةُ جناباً للنَّدى خَضِلا
مِنْ دوحةِ الأزدِ حيثُ الحيُّ مِنْ يَمَنٍ بشطِّ غسّانَ من بعدِ السُّرى نزَلا
ثُمَّ استرادَ جنابَ اللهِ خزرجُهُ حتَّى أَحَلَّ بأعلى يثربَ الحُلَلا

وهو يكني عن هواه وشوقه وحنينه، فيموِّه بذكر دعدٍ وسُعدى، ولكن حنينه يفضحه بذكر يثرب، يقول[٤] :

حننتُ إلى العهدِ القديمِ الذي حميداً فما أغنى الحنينُ ولا أَجْدا
ليَ اللهِ كمْ أهذي بنجدٍ وحاجرٍ وأكني بدعدٍ في غراميَ أو سُعدا
وما هي إلا زفرةٌ هاجَها الهوى وأبدى بها تذكارَ يثربَ ما أبدا

(١) المحب والمحبوب ٥٦/١.
(٢) ديوان البرعي ١٢١/١.
(٣) ديوان لسان الدين بن الخطيب ٦٩٩.
(٤) الوافي بالوفيات ٤٩٧/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذا شاعر أندلسي آخر هو ضياء الدين القرطبي يذكرها بهذا الاسم قائلاً[١] :

ويشـهدُ أبنـاءُ البيـان إذا انتـدوا بـأنِّيَ مـن قـسّ الفصـاحة أخطـبُ
وإنِّـي لَتُـدنيني إلى المجـدِ عصـبةٌ كـرامٌ حَـوَتْهُمْ أَوَّلَ الـدهر يثـربُ

ومما جاء بكثرة في الشعر الأندلسي، قول لسان الدين بن الخطيب[٢]:

هـلاَّ عطفـتَ صـدورَهُنَّ إلى الـتي فيهـا لبانـةُ أعـين وقلـوبِ
فتـؤمّ مـن أكنـافِ يثـربَ مأمَنـاً يكفيـكَ مـا تخشـاهُ مـن تثريـبِ
حيـثُ النبـوَّةُ آيُهـا مجلـوَّةٌ تتْلـو مـنَ الآثـار كـلَّ غريـبِ

وهذا ابن سهل يشتاق زيارة الرسول ﷺ، فيأتي مع هذا الشوق باسم يثرب، فيقول[٣]:

وركـبٍ دعـتهمْ نحـو يثـربَ نيَّـةٌ فمـا وجَـدتْ إلاَّ مُطيعـاً وسـامِعا
يُسـابقُ وَخْـدَ العِيس مـاءُ شـؤونهمْ فيفنـونَ بالشـوق المَـدى والمـدامِعا
إذا انْعطفوا أو رجَّعوا الذكرَ خلتَهم غُصُـوناً لِـداناً أو حَمامـاً سـواجعا

وعلى مدى العصور السالفة تجد هذا الاسم يتردد على ألسنة الشعراء أكانوا زهّاداً، أم فقهاء، أم غزليين، وغير ذلك، وتتبع ذلك لا يضيف إلاّ ما أكّدناه من تداول هذا الاسم في الشعر، واشتهاره على الألسنة .

وأما في الشعر الحديث والمعاصر، فاستمرَّ الاسم في الورود في قصائد الشعراء، من لدن شوقي إلى الشعراء المعاصرين، فمن ذلك ما ورد عند شوقي في قوله[٤] :

(١) الوافي بالوفيات٧/٢٢٤.
(٢) نفح الطيب ١٨٢/٦.
(٣) الوافي بالوفيات ٧/٦.
(٤) الشوقيات ٣٠/١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إذا قلتُ شعراً فالقوافي حواضر وبغدادُ بغدادٌ، ويثربُ يثربُ

وأحمد محرم يتلذذ بهذا الاسم، فهو يردده في كثير من قصائده ويصل ذكر هذا الاسم عنده إلى ثمان مرات ، من ذلك قوله[١] :

هتفَ النَّعِيُّ فما ملكتُ بياني ليتَ النَّعِيَّ إلى الإمامِ نَعاني

ذُعِرَ الحطيمُ وراعَ يثربَ عاصفٌ للموتِ ضجَّ لهولهِ الحرمانِ

وعمر أبو ريشة الذي يجسد الشعور الواحد ، يقول[٢]:

فإذا مصرُ أغاني جلّقٍ وإذا بغدادُ نجوى يثربِ

وهذا الشاعر العراقي المشهور بدر شاكر السياب، ترد في شعره فيقول :

بالأمسِ دوَّى في ثرى يثربٍ صوتُ قويٍّ منْ فقيرِ نبي

وفي الشعر المعاصر نجد عديد الشعراء يذكرونها بهذا الاسم فهذا شاعر اليمن عبد الله البردوني، يقول[٣] :

نمتها المروءات في مأرب وأرضعها الوحي في يثرب

وحتى شعراء النصارى، مثل بشارة الخوري (الأخطل الصغير) الذي يقول في قصيدته المشهورة، ومطلعها[٤]:

سائلِ العلياءَ عنَّا والزَّمانا هلْ خَفَرْنا ذِمَّةً مذ عرفانا

يقول ذاكراً يثرب :

يثربٌ والقدسُ منذُ احتلما كعبتانا وهوى العُرْبِ هَوانا

بل وفي شعر شعراء المسلمين من غير العرب، فهذا محمد إقبال شاعر باكستان الكبير، يقول[٥] :

---

(١) مجد الإسلام ص٨١٢/١ .

(٢) ديوانه ص ٧٠ .

(٣) ديوانه ١٢٠ .

(٤) ديوان الأخطل الصغير ٦٨ .

(٥) ديوان محمد إقبال ١٤٠/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قد شأى الدَّارينِ مِنْ يثربَ طيب حبذا دارٌ بها مَثوى الحبيب

ولم يرد ذكر يثرب في الشعر فقط ، بل ورد حتى في النثر:

فهذا القفطي في كتابه « المحمدون » يذكر في ترجمة الشافعي، فيقول[1]: « محمد بن إدريس بن العباس بن علي بن عثمان، بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف الشافعي الفقيه أبو عبد الله ولد بغزَّة، وقيل باليمن، وحمل إلى مكة ونشأ بها، وأخذ عن مالك بن أَنسٍ وطبقته، ثم عاد إلى مكة، واستخدم في أحد الخدم الديوانية باليمن، فتوجه وأقام متولياً مدة ثم عاد إلى مكة وخرج إلى يثرب، وناظر مالك بن أنس، وسأله عن مسائل، وراجعه فيها الجواب ». بل إنه يستخدم الاسمين معاً، فيقول في ترجمة أبي شجاع محمد بن الحسين وزير المقتدي : « إلى أن توفي بالمدينة - يثرب - في جوار رسول الله ﷺ » .

وهذا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ يذكر يثرب على ما جاء في كتاب اللآلي في شرح أمالي القالي:

ذكر أبو علي سؤال عمر لأبي حثمة أيهما أطيب العنب أم الرطب ؟ وأبو حثمة اسمه عبد الله، وقيل عامر بن ساعدة بن عامر بن الحارث بن الخزرج بن مالك بن الأوس، وهو والد سهل بن أبي حثمة، شهد أبو حثمة مع رسول الله ﷺ المشاهد وبعثه خارصاً إلى خيبر، وكان أبو بكر وعمر وعثمان يبعثونه خارصاً، وكان أعلم الناس وأبصرهم بالنخل والتمر، فلذلك خصه عمر بالسؤال عن ذلك، وتوفي في أول خلافة معاوية . وقد روى الخبر على خلاف هذا :

(١) المحمدون ١/٤٠.

روي أن عمر سأل رجلاً من أهل الطائف، ألحبلة خير أم النخلة ؟ فقال الحبلة، أتزبَبُّها، وأتربَّبُها، وأصلح برمتي بها يعني الخل، وأنام في ظلها .

فقال عمر : لو حضرك رجل من أهل يثرب لرد عليك قولك . فدخل عبد الرحمن بن محصن النجاري ، فأخبره عمر خبر الطائفي ، فقال : ليس كما قال ؛ إني إن آكل الزبيب أضرس ، وإن أتركه أغرث ، ليس كالصقر في رؤس الرقل ، الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل ، تحفة الكبير ، وصمتة الصغير ، وزاد المسافر ، وعصمة المقيم ، وتخرسة مريم ابنة عمران ، ينضج ولا يعنى طابخاً ، ويحترش به الضب من الصلفاء[١] .

يثرب في الحديث النبوي :

أخَّرْتُ الحديث فيه وحقه التقديم، ولكنَّ الوصول إلى الغاية من البحث تحتّم ذلك، ولقد وقفت عند حديث النهي عن تسمية المدينة بـ « يثرب » وهو حديث ظاهره يقطع بالنهي عن ذكرها بهذا الاسم، ومن ذكرها فعليه أن يستغفر من الذنب الذي ارتكبه بذكر ما نهاه الرسول ﷺ عنه .

- والحديث، كما جاء في مسند الإمام أحمد، قال رسول الله ﷺ : « **من سمّى المدينة يثرب فليستغفر الله ﷻ ، هي طابة، هي طابة** »[٢]

وقد أُعيد سبب النهي لأن يثرب مأخوذ من الثرب بالتحريك وهو الفساد والكراهة، أو التثريب : أي المؤاخذة بالذنب، أو تسميتها باسم كافر .

ويقول الدكتور صلاح الدين بن عباس شكر في الدرة الثمينة في أخبار المدينة[٣] : « وعلى هذا فلا يجوز تسميتها بيثرب من قبل المسلمين

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي:١/٦٨٩-٦٩٠ والحبلة : العنب . وأضرس : من ضرست أسنانه إذا كلَّتْ من تناول الحامض ، وأغرث : أجوع . والرقل : النخل ، والتخرسة : طعام الولادة . والصلفاء : الأرض الغليظة الشديدة .

(٢) مسند أحمد ط الرسالة٣٠/٤٨٣ ، وصحيح ابن حبان ٩/٤٤.

(٣) ص٦٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمؤمنين » ومع ذلك فقد ظلَّ اسم يثرب يرد في أحاديث الرسول ﷺ وفي الأشعار والأخبار بعد ذلك .

فهل ضعف الإسناد في الحديث كما ذكر ابن كثير هو السبب[١] ؟ أم هناك من الأسباب ما جعل من أصرَّ على تسميتها لا يرى حظراً، بل هو من باب المباح ؟، ولما رحت أبحث في ذلك، وجدت بعض الأحاديث تذكر هذا الاسم، فبعد ورود نهي رسول الله ﷺ عن تسمية المدينة (يثرب) في الحديث المذكور، جاءت أحاديث متأخرة عن هذا الحديث زمناً، تُسَمِّيها بهذا الاسم، فهل هناك تعارض ؟ أو تناقض ؟ أو أنَّ هناك تعليلاً نستطيع من خلاله التوفيق، بين الحظر والذكر، وسأورد الأحاديث الوارد فيها ذكر يثرب، متتابعة على حدٍّ فهمي واستنتاجي .

- جاء في الصحيحين : أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « **هي المدينة يَثْرِب** »[٢] ، وقوله : « يقولون : يثرب وهي المدينة »[٣] : يعنى أنها تسمى يثرب، قيل: خص النبى ﷺ اسمها بالمدينة، وتسميتها في القرآن يثرب حكاية عن قول من قالها من المنافقين والذين فى قلوبهم مرض .

قال عيسى بن دينار : من سماها يثرب كتبت عليه خطيئة .

وسماها أيضًا عليه السلام طيبة وطابة، وهذا على ما كان عليه عليه السلام من استحبابه الاسم الحسن وكراهته القبيح .

---

(١) ورد في تفسير ابن كثير في يثرب: فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن مهدي، حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى، إنما هي طابة هي طابة » تفرد الإمام أحمد، وفي إسناده ضعف، والله أعلم .

(٢) صحيح البخاري ٢٠٣/٤ و٥٦/٥ وصحيح مسلم ١٧٧٩/٤ .

(٣) صحيح البخاري ٢٠/٣ وصحيح مسلم ١٠٠٦/٢ ومسند أحمد ١٧٠/١٢ .

ففي اسم (يثرب) من الثرب، والتثريب هو المؤاخذة بالذنب، يقال لمن فعل ما يلام عليه ولم يؤاخذ به : لا تثريب عليك، وثرّب فلان فلانا على فعله، أي بكته، والثرب الفساد أيضا، قيل : وإنما كانت سميت يثرب بأرض هناك، المدينة ناحية منها، ولما في اسم طيبة من الطيب الذي هو الرائحة المستحسنة، وهذا موجود في المدينة .

أما الحديث فقد ورد بروايات عدة، منها :

- « **من سمى المدينة يثرب** »[١] بفتح فسكون كانت سميت به باسم من يسكنها أولا « **فليستغفر الله** » أي فليطلب منه المغفرة لما وقع فيه من الإثم « **هي طابة هي طابة** » لأن اليثرب الفساد . والتثريب : التوبيخ والمؤاخذة بالذنب واللوم، ولا يليق بها ذلك، وظاهر أمره بالاستغفار أن تسميتها بذلك حرام ؛ لأن استغفارنا إنما هو عن خطيئة، وهو ظاهر كلام جمع ؛ منهم الدميري قالوا : وتسميتها في التنزيل حكاية لقول المنافقين، أو من باب مخاطبة الناس بما يعرفونه . والأكثر على الكراهة ولا ينافي الكراهة ما في الصحيحين في حديث الهجرة « **فإذا هي المدينة يثرب** » وفي رواية « **لا أراها إلا يثرب** » لأن ذلك كان قبل النهي كما ذكره السمهودي تبعاً لصحاح الجوهري .
- « **من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة** »[٢] .
- وروى الحاكم في تاريخه عن عامر بن ربيعة « **من قال للمدينة يثرب فكفارته أن يقول المدينة عشر مرات** »[٣] .

---

(١) مسند أحمد طبع الرسالة ٤٨٣/٣٠ .

(٢) وجاء في جامع الأحاديث ٤١٣/٢٠ ورواه الخطيب في المتفق والمفترق بلفظ هي « طابة ثلاث مرات » ، أخرجه أحمد (٢٨٥/٤، رقم ١٨٥٤٢) . قال الهيثمي (٣٠٠/٣) : رجاله ثقات . وأخرجه أيضًا : الديلمي (٥٥٤/٣، رقم ٥٧٣٥) .

(٣) جامع الأحاديث ١٩٢/٢١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- وقد روي عنه عليه السلام أنه قال : « **من قال : يثرب فكفارته أن يقول المدينة عشر مرات** »[١] يريد بذلك التوكيد أن يقال لها : « المدينة » .
- عن النبي ﷺ أنه قال : « **من قال يثرب فليقل المدينة** »[٢] .

ومن هذه الروايات نجد حرص رسول الله ﷺ على تكريس الاسم الجديد، ونسيان الاسم القديم، فكان التشديد في البداية الذي رأى فيه بعض العلماء أنه وصل إلى درجة التحريم، ومن يفعله يرتكب خطيئة، ولا شك أنَّ تغيير العادة وما جرى به اللسان والعرف يحتاج بدايةً إلى الشدة، فلمّا مرنت الألسنة على تسميتها بالمدينة، ظلَّ من يزلُّ لسانُه، ويخشى أن يقع فيما نهى عنه رسول الله ﷺ، فكان كفارة ذلك، أن يقول المدينة عشر مرات حتى ترسخ في ذاكرته، وعلى لسانه، ثمَّ لمّا أصبح الوقوع في ذلك قليلاً، كان كفارة ذلك أن يقولها مرةً واحدة، ويبدو أنه بعد أن شهرت باسم المدينة على كلِّ الألسنة، وفي جميع الأمصار ما عاد يُخشى ما كان يُخشى في البداية من الاستمرار على الاسم القديم، وهذا ما يحدث كثيراً عند تسمية معلمٍ،أو مدينةٍ، أو شارع بغير اسمه الذائع، فإنَّ الناس يرتاحون للعادة، ويرتهنون للقديم في غالب الأحيان .

وهذا ما يفسِّر استمرار ورود اسم يثرب في الحديث النبوي، وعلى ألسنة المحدثين والرواة والإخباريين، وكذلك الأدباء والشعراء .

- وقد وردت أحاديث عديدة ورد فيها اسم يثرب، من بداية الهجرة، وحتى وفاة الرسول ﷺ ، من ذلك ما ورد في المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، سمعت أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **أمرت بقرية**

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال باب المدينة طيبة ٥٤٤/٤ .

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٨١/٢٠ وملء العيبة ٢٠/١ .

تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد »[١] .

- وهذا الحديث قد يكون زمانه في أوّل الهجرة، وكذلك ورد اسم يثرب ثلاث مرات في وثيقة العهد التي كتبها رسول الله ﷺ، عندما حلَّ بالمدينة لأهلها من المسلمين، مهاجرين وأنصار، ولمن ساكنهم من غير المسلمين، كاليهود، فقد جاء في كتاب الأموال لابن زنجويه[٢] :
- حدثنا حميد، حدثني عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني عقيل عن ابن شهاب أنه قال : بلغني أن رسول الله ﷺ كتب بهذا الكتاب : « **هذا كتاب من محمد النبي رسول الله ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، فحل معهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس** ، « **ويثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، والجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمةٌ إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فمرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، ولله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، و بينهم النصر على من دهم يثرب** » .

وهذا أيضاً يقال فيه ما قيل في سابقه، من أنَّ وثيقة العهد المنظمة للحياة السياسية في المدينة جاءت مع تأسيس الدولة في المدينة بعد الهجرة مباشرة .

ولكن ما القول في أحاديث يُستشفُّ من الحوادث التي قيلت فيها أنها قيلت في السنة السابعة للهجرة، والتاسعة، والعاشرة ؟

---

(١) صحيح البخاري٣/٢٠ باب فضل المدينة، وصحيح مسلم ٢/١٠٠٦ باب المدينة تنفي شرارها .

(٢) كتاب الأموال ١/٣٣١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فمن ذلك ما أورده ابن سعد في الطبقات الكبرى في ترجمة الحجاج بن علاط قوله[1] : لن نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة، قال فصاحوا بمكة وقالوا: قد جاءكم الخبر، فقلت: أعينوني على جمع ما لي على غرمائي، فإني أريد أن أقدم فأصيب من غنائم محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هناك. فقاموا فجمعوا لي مالي كأحثِّ جمع سمعت به، وجئت صاحبتي، وكان لي عندها مال، فقلت لها : مالي لعلي ألحق بخيبر، فأصيب من البيع قبل أن يسبقني التجار .

وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب فانخزل ظهره فلم يستطع القيام، فدعا غلاماً له يقال له أبو زبيبة فقال: اذهب إلى الحجاج فقل : يقول لك العباس : الله أعلى وأجل من أن يكون الذي تخبره حقاً فجاءه ، فقال الحجاج: قل لأبي الفضل أخلني في بعض بيوتك حتى آتيك ظهرًا ببعض ما تحب، واكتم عني ، فأتاه ظهراً، فناشده الله ليكتمن عليه ثلاثة أيام . فواثقه العباس على ذلك .

قال: فإني قد أسلمت، ولي مال عند امرأتي، ودين على الناس، ولو علموا بإسلامي لم يدفعوا إلي شيئا، تركت رسول الله ﷺ ، قد فتح خيبر، وجرت سهام الله ورسوله فيها، وتركته عروساً بابنة حيي بن أخطب، وقتل بني أبي الحقيق، فلما أمسى الحجاج من يومه ذلك خرج، وأقبل العباس بعدما مضى الأجل وعليه حلة، وقد تخلق بخلوق، وأخذ في يده قضيباً، وأقبل يخطر، حتى وقف على باب الحجاج بن علاط فقرعه، وقال: أين الحجاج ؟ فقالت امرأة : انطلق إلى غنائم محمد وأصحابه ليشتري منها ، فقال العباس: فإن الرجل ليس لك بزوج إلا أن

(١) ٤/٢٧٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تتبعي دينه، إنه قد أسلم وحضر الفتح مع رسول الله ﷺ ثم انصرف العباس إلى المسجد وقريش يتحدثون بحديث الحجاج بن علاط، فقال العباس: كلا والذي حلفتم به، لقد افتتح رسول الله ﷺ خيبر، وترك عروساً على ابنة حيي بن أخطب، فضرب أعناق بني أبي الحقيق البيض الجعاد الذين رأيتموهم سادة النضير من يثرب وخيبر، وهرب الحجاج بماله الذي عند امرأته .

قالوا: من أخبرك هذا ؟

قال: الصادق في نفسي، الثقة في صدري، الحجاج فابعثوا إلى أهله .

فبعثوا فوجدوا الحجاج قد انطلق بماله، ووجدوا كل ما قال لهم العباس حقاً، فكبت المشركون، وفرح المسلمون، ولم تلبث قريش خمسة أيام حتى جاءهم الخبر بذلك .

هذا كله حديث محمد بن عمر عن رجاله الذين روى) فذكر يثرب في الحديث يأتي زمن فتح خيبر، وخيبر فُتحت في المحرم من السنة السابعة للهجرة .

- ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ : حدثنا عمر بن حفص السدوسي ثنا عاصم بن علي ثنا قيس بن الربيع عن سماك بن حرب حدثني عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم الطائي[1] . **قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو**

(١) المعجم الكبير ١٧/ ٩٨عدي بن حاتم (٠٠٠ – ٦٨هـ = ٠٠٠ – ٦٨٧ م) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أبو وهب وأبو طريف: أمير، صحابي، من الأجواد العقلاء.كان رئيس طيئ في الجاهلية والإسلام ، وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل .

وقال ابن الأثير: خير مولود في أرض طيئ وأعظمه بركة عليهم. وكان إسلامه سنة ٩هـ، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي. وفقئت عينه . عاش أكثر من مئة سنة .

وفي المعجم الكبير ٩٩/١٧ : « إني لا أخشى عليكم الفاقة، لينصرنكم الله، و ليعطينكم أو ليفتحن لكم، حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب أخوف ما تخافون على ظعينتها السرق » .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

جالس في المسجد فقال القوم : هذا عدي بن حاتم وكنت نصرانيا وجئت بغير أمان ولا كتاب، فلما دفعت إليه أخذ بيدي، وقد كان قبل ذلك قال : « إني لأرجو أن يجعل الله يد في يدي »، فقام بي فلقيته امرأة وصبي معها، فقالا : إن لنا إليك حاجة . فقام معها حتى قضى حاجتها، ثم أخذ بيدي حتى أتى داره، فألُقيت له وسادة، فجلس عليها وجلست بين يديه، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال : « لم يغرك إلا أن يقال إلا الله فهل تعلم من إله إلا الله ؟ » ثم تكلم ساعة ثم قال : « أما يغرك أو يضرك إلا أن يقال الله أكبر فهل تعلم شيئًا أكبر من الله ؟ » قلت لا . قال : « إن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضُلاَّل » قلت : فإني حنيف مسلم . فرأيت وجهه ينبسط فرحاً . ثم أمرني فنزلت على رجل من الأنصار، فجعلت آتيه طرفي النهار، فبينا أنا عنده عشية إذ أتاه قوم في ثياب من صوف من هذه النمار فصلى ثم قام فحث عليهم ثم قال : « بصاع أو بنصف صاع أو نصيفه ولو ببعض قبضة يقي أحدكم وجهه حر جهنم أو النار ، ولو بشق تمرة فإن أحدكم لاقي الله، فقائل له ما أقول لكم : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ؟ فيقول بلى . فيقول ألم أجعل لك مالاً وأولادًا ؟ فيقول بلى . فيقول أين ما قدمت لنفسك ؟ فينظر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يجد شيئا يقي به وجهه، فوقي أحدكم وجهه للنار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة، فإني لا أخاف عليكم الفاقة، فإن الله ﷻ ناصركم ومعطيكم، حتى تسير الظعينة فيما بين يثرب والحيرة، وأكثر ما يخاف على مطيتها السرق فجعلت أقول في نفسي فأين لصوص طيء ؟ » والمعروف أنَّ عدي بن حاتم أسلم في السنة التاسعة للهجرة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- وفي السنن الكبرى ورد عن الذي اعترف بالزنا : « **فقال عمر** ﷺ **: أرجم الذي اعترف بالزنا ؟ قال رسول الله** ﷺ **: « لا ، لأنه قد تاب إلى الله . أحسبه قال: توبة لو تابها أهل المدينة أو أهل يثرب لقبل منهم** »[(١)] .

من هذين الحديثين وغيرهما يتبين أن تسمية المدينة بيثرب بعد الهجرة بزمن كانت مألوفة، ولكنَّ الأولى والأفضل تسميتها كما سماها رسول الله ﷺ.

ويبدو أن استعمال الاسمين (يثرب والمدينة) في عهد رسول الله ﷺ كان شائعاً

- وقد ورد في الحديث ذكرهما معاً،كما جاء في حديث[(٢)]: **حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى أُرَاهُ عَنْ النَّبِيِّ** ﷺ **قَالَ : « رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرٌ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا ، وَاللَّهِ خَيْرٌ،فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ مِنْ الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بِهِ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ** » .

- ويدل عليه الحديث الوارد في مسند أحمد : **حَدَّثَنَا بَهْزٌ وَسُرَيْجٌ قَالا : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ كَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ يَثْرِبَ وَالْمَدِينَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمَّاهَا طَابَةَ قَالَ سُرَيْجٌ يَثْرِبُ الْمَدِينَةُ**[(٣)] .

---

(١) السنن الكبرى ٤٩٤/٨ رقم ١٧١٠٠ .

(٢) صحيح البخاري ٢٠٣/٤ وصحيح مسلم ١٧٧٩/٤ .

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٥/٤، رقم ١٨٥٤٢) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- وجاء في عمدة القاري[١] ذكر يثرب ما روي في تفسير آية ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩].
- وحدثنا عصام بن رواد **حدثنا آدم عن ابن شيبة عن عطاء قال : كان أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم دخلوا البيوت من ظهورها ، ويريدون أن ذلك أدنى إلى البر، فقال الله تعالى : « وليس البر"**
- وأختم بهذا الحديث المذكور في كثير من مصادر الحديث النبوي، عن معاذ بن جبل، قال : قال رسول الله ﷺ : « **عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال** »[٢] .

نستخلص من كلِّ ذلك أنَّ من حرّم ذكر يثرب اعتمد على الحديث الذي أردف تغيير الاسم، ولم يجمع بين هذه الأحاديث . ولعلَّ من يطلع على هذا البحث من علماء الحديث أن يفيد في هذا الموضوع، ويوجهنا الوجهة السديدة وله المثوبة والجزاء، هذا والله أعلم .

(١) عمدة القاريء في شرح صحيح البخاري ٤٤٢/٢٦ .

(٢) مسند ابن الجعد ٤٨٩/١ ومصنف ابن أبي شيبة ٤٥٨/٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مصادر البحث ومراجعه :

- الإحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ
- أخبار أبي القاسم الزجاجي : عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)
- أخبار المدينة : محمد بن الحسن بن زبالة، جمع وتوثيق ودراسة صلاح بن عبد العزيز سلامة، مركز بحوث المدينة المنورة (٨) الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
- أدب الخواص : لأبي القاسم الوزير المغربي،أعده للنشر: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م
- أشعار أولاد الخلفاء : لأبي بكر الصولي، مطبعة الصاوي ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية .
- أنساب الأشراف : للبلاذري، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط الأولى، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م
- البيان والتبيين : للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ
- تاريخ المدينة لابن شبة : حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة ١٣٩٩هـ
- تفسير ابن كثير : لابن كثير، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت، الطبعة: الأولى ، ١٤١٩هـ
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ١٣٨٧هـ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- جامع الأحاديث : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية) طبع على نفقة: د حسن عباس زكى
- جمهرة أشعار العرب : لأبي زيد القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة : محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار (المتوفى: ٦٤٣هـ) تحقيق صلاح الدين بن عباس شكر ، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ١٤٢٧هـ
- ديوان جرير : تحقيق د.نعمان طه، دار المعارف بمصر
- ديوان حسان بن ثابت : تحقيق د. وليد عرفات، دار صادر ، بيروت ١٩٧٤م
- ديوان الفرزدق : همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي وكنيته أبو فراس (٣٨هـ/٦٥٨م - ١١٠هـ/٧٢٨م)
- ديوان محمد إقبال : إعداد سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م
- الروض الأُنُف : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) المحقق : عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة : الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي : لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه : عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
- السنن الكبرى : المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

- شرح صحيح البخاري لابن بطال : ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد ، السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م
- الشعر والشعراء لابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) الناشر: دار الحديث، القاهرة عام النشر: ١٤٢٣هـ
- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) ، المحقق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ
- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت
- مثير الغرام الساكن : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، قدم له وحققه وفهرسه: د/ مصطفى محمد حسين الذهبي ، دار الحديث، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م
- مسند ابن الجعد : علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (ت ٢٣٠هـ) ، تحقيق : عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
- مسند أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ/٢٠٠١م

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- مصنف ابن أبي شيبة : أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ
- المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة، الطبعة: الثانية
- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام : الدكتور جواد علي الناشر: دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م
- ملء العيبة : محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين ابن رشيد الفهري السبتي (ت ٧٢١هـ) تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، للمقري، دار صادر، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م
- الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث ، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة